« دعك ، دعك » ، احتج اريبه ، الامر عندكم هكذا بسيط ، وانا اقول لكم انه خطـــا وسوف تذكرون ما اقول ! »

حين توقفنا في ظل جميزة ضخمة ، ممتلئة ، غير مستديرة المحيط ، بل مكتظة كنجمـــة غير متساوية الأطراف ، وكل اوراقها المتساقطة تتعفن تحتها ، ترقســـط الارض بطحالب صغيرة ، بخواتم نور صغيرة ، ــ كانت القرية قد اصبحت مكشوفة من تحتنا ، باحـــات باحات · بعضها بيوت حجرية واكواخ طينية في غالبها ، وهاوية اسفنجية لصمت هائل ، حتى ان اصواتنا ، وطلقة هنا وطلقة هناك ، ونهيق حمار في مكان ما ، والتي تمزقت كلها الى صيحات ، وكذلك ازيز جهاز اللاسلكي ــ غاصت كلها كذرات صغيرة فيها سرعان ما اختفت دونما اثر · شرعنا في تقشير انفسنا من ثياب الشتاء الدافئة ، وتدبرنا امرنـــا لراحة ، بينما كان مويشي يستكشف السهل امامنا ، وليس لاستقصاء جمالـــه بالطبع ، اشعلنا السجائر ، اكلنا البرتقال وثرثرنا بشتى الامور ، وكنت لا ازال اشعر جيدا كـــم غريب انا هنا ، وينكرني مكاني ·

« يهربون ، يهربون » ، قال مويشي ، « شدوا العربات ، وحملوا الجمال ، ويهربون »·

« انذال » ، قال شموليك ، « لا دم فيهم للاقتتال » ·

« اين ! » قال يهودا ، وهو ديك يافع ويسعى للظهور كأحد الديكة العتيقة في المزرعة ، يفخر بالفلاحة ، والمدحلة المهدة ، والمحراث القرصي ، والمازوت ، ولشدة الثقة بالنفس فانه لا يجهد نفسه بلفظ « الراء » الا كما يلفظ « الحاء » : « الاصح واضح » ، قـــال يهودا ، دونما تنميق ــ « ليس لهم اي قدرة على الصمود ! » نفخ شفتيه دافعا ذقنه الـــى الامـــام ·

وهنا صعقنا صوت انفجار قوي مفاجيء وعمود دخان ابيض تعالى من اسفل القريـــة باضطراب (وسرعان ما طغى الصمت يطمس الضجة ، وليس المفاجأة ·)

وحين نظرنا الى مويشي ، قال ان فرقة التدمير قد باشرت عملها · اما نحن ، فاننـــا مقبلون على انهاء مهمتنا ·

« كل ما هنالك ؟ يعني ــ اننا لم نفعل اليوم شيئا ! » قال غابي كابحا نفسه ، وحـــرر المدفع الرشاش ·

تتابعت في الحال قذيفتان ضخمتان بدتا كما لو كانتا مثانتين تنتفخان بسرعة قصـــوى وتنفجران ، يندفع عالم من الصمت المدوي ويعود فينصب في حفرة كبيرة كانت قد افرغت، غير ان صوت القذيفة كان بالنسبة للهاربين كتدفق الماء الى بيت نمل ، حيث كنت تستطيع وبلا منظار تمييز ارتباك متزايد ، واندفاع مستعجل ، وكانت تسمع اصوات بعيدة واصوات اخرى من القرية التي كانت حتى الان ساكتة ، اصوات عويل ، واصوات فزع وبعـــض الطلقـــات ·

والآن وبعد ان تدبرنا امرنا بمثل هذه الراحة في ظل الجميزة ، وزن مويشي الامـــور وارتأى انه من الافضل لنا ان نغادر هذا المكان ونتجه الى مسلك صغير بالذات ، كـــان مسيجا باشجار عناب متقصفة ، كانت قد اعوجت اغصانها التي تبقت بشكل غريـــب وتشعبت في الفراغ باشواكها الكثيفة واوراقها القليلة · وصلنا نهاية الشعب فوجدنا هناك قناة صغيرة محفورة بعرض الطريق تركت مهدمة من جانبها ، فائـــارت السخرية مـــن